



سلسلة: علماء الإسلام وملحمتهم التقويمية عبر التاريخ

مقدمات نحو صياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم

(9) صناعة الفقه: الأصولية الجعفرية والاجتهاد المؤطر بالأسطورة الجهنمية

الحلقة الخامسة

مأساة كربلاء في وجدان الأمة

شاعت الأقدار أن يتوفى **الحسن بن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه مبكراً سنة 49 هـ، وبدا وكأن كابوساً أو حجراً ثقيلاً، قد انزاح عن كاهل **الأمويين**، ليشرعوا بجد في التوطيد والترسيخ لملكهم، والاستمرار في **الاستنثار بحكم المسلمين دون مشورة منهم**، استبداداً عليهم، على ما جرى به عرف المنطقة قبل طروء الإسلام، دون وجهة من حق أو شرع.

وعند هذا المفترق، تحركت من جديد هواجس شيعة العراق وكاتبت **الحسين بن علي بن أبي طالب** في أمر خلع **معاوية** والبيعة له بدله، فامتنع عليهم عليه السلام، كما تذكر المصادر **الإحدى عشرية**، مذكراً إياهم بأن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه إلى أن ينقضي أجله بموت معاوية¹.

وستظهر أول بادرة، على هذا الدرب، لتحقيق مثل هذا المأرب الأموي الدفين، مع موسم حج سنة 51 هـ، حين حج **معاوية بن أبي سفيان**، واجتمع بمكة ب **عبد الله بن الزبير بن العوام**، وبأبناء الخلفاء الراشدين الثلاثة ذوي السوابق في الإسلام:

– **عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق**،

– **وعبد الله بن عمر بن الخطاب**،

– **والحسين بن علي بن أبي طالب**،

وصارحهم في أخذ البيعة منهم لابنه **يزيد**، وشرع يشرح ويزين لهم في ذلك ويبرر، وهم من مراميه وما يقصد من وراء ذلك، على بيئة وحذر، وبعد نظر، بسابقة ما عهدوا من سيرة آبائهم في

¹ أنظر الشيخ المفيد الجعفري في كتاب "الإرشاد في معرفة حجج الله تعالى على العباد" (2: 32) ضمن مجموعة "بحار الأنوار" للمجلسي،

التنكب عن الإتيان بمثل هذا الاقتراح، وهم بشهادة الجميع، أنصح للأمة وأشفق بها من معاوية
بمراحل!.

ومما تناقله أصحاب السير في محاورتهم هذه لمعاوية قول **عبد الله بن عمر**²:

أما بعد، فإنه قد كان قبلك خلفاء هم أبناء، ليس ابنك بخير من أبنائهم، فلم يرو في أبنائهم ما
رأيت أنت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار، وإنك تحذرني أن أشق عصى
المسلمين! وأن أسعى في فساد ذات بينهم!، ولم أكن لأفعل. إنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا
على أمر فإنما أنا رجل منهم.

وقول **عبد الرحمن بن أبي بكر**³:

إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله، وإنا والله لا نفعل، والله لتردّن هذا الأمر شورى
في المسلمين، أو لتعيدتها عليك جذعة.

وقول **عبد الله بن الزبير**⁴:

إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزها، وهلمّ ابنك فلنبايعه، رأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما
نسمع؟!، لأيكما نطبع!؟. لا تجتمع لكما والله أبداً.

قلت:



ولم يحفظ لنا التاريخ مقولة ل **الحسين بن علي** في الموضوع. وهو ما لم نكن لنتنظر أن يؤثر
عنه شيء فيه، لما نعلم من موقفه المبدئي من صلح **أخيه** مع معاوية في صلح "عام الجماعة"
الذي كرس الفرقة على التحقيق بين المسلمين وإلى أمد بعيد!، ولا أن **معاوية بن أبي سفيان** نفسه،
كان يراوده أدنى أمل في أن يفتح **الحسين** بمثل هذا المسعى، وبحار من الدماء والثأر وعدم الثقة
تفصل بين مواقف الرجلين!.

² تاريخ خليفة ص. 213-214.
³ نفس المرجع ص. 214.
⁴ نفس المرجع ص. 214.

ولما حضرت الوفاة معاوية بن أبي سفيان سنة 59 هـ، وتمت البيعة لابنه يزيد، ضداً على مبدأ **الشورى** ونقضاً له، لم يكن غريباً ولا مستعظماً ألا يقبل **الحسين بن علي** ولا **عبد الله بن الزبير**، كل من منطلقه الخاص، بما رفضاه ولم يلتزما به من قبل⁵، وأصبح الآن واقعاً سلطوياً مفروضاً تتوجب محاربتة وتغييره كمنكر.

لذلك انسل كل منهما إلى **مكة**، فراراً من الإجابة للبيعة اليزيدية، وليتحينا، كل على انفراد، وكل من منطلقه الخاص مجدداً، أن تسنح له الفرصة للرد بما يناسب المرحلة.

ولعل ما شجع **الحسين بن علي بن أبي طالب**، قبل غيره، على الإقدام، وأخذ المبادرة في تنفيذ خطته في الخروج على بني أمية، دعوة تلقاها من أهل العراق، تعده بالمدد والنصرة، قبل أن يكتشف رحمه الله، وبعد فوات الأوان، خذلاتهم له، ما خذلوا **والده**، ثم أخاه **الحسن** من قبل، ليستشهد على يد **الحسين بن شمر بن ذي الجوشن**، مع سبعة عشر رجلاً⁶ من خيار أهل بيته وبني عمومته بطف **كربلاء** العراق في يوم عاشوراء من سنة 61 هـ.

ولكي نتحسس فداحة هذا المصاب الجلل، ولأغراض هذه الدراسة، فلا بد من التوقف عند أسماء كل من استشهدوا مع **الحسين** من أهله ومن أقاربه، ليعلم كل ذي لب، أن لكل **الطالبين** وكافة المسلمين تبعاً، ثأر في أعناقهم على شطط بني أمية، لو كان لمثل هذا الثأر أن يجدي، وليس فقط **أبناء الحسين** المباشرين على ما سيلفق السياسيون العقائديون اللاحقون، في تبريرهم لاستحقاق **الخلافة** أو **الإمامة العامة** دون هذا الفريق المراق الدم، ما أهرق دم **الحسين** رضي الله عنهم أجمعين، أو دون المسلمين عامة، على ما سيتبين لنا في موضعه من هذه الدراسة.

⁵ كان عبد الله بن عمر قد اعتزل السياسة جملة، وتوفي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق مبكراً سنة 53 هـ.
⁶ نقل خليفة بن خياط في تاريخه ص. 235 يرفعه إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه قال: {قتل مع الحسين بن علي سبعة عشر رجلاً كلهم قد ارتكض في بطن فاطمة}.

وقد أورد أصحاب التواريخ والسير جرداً بأسماء من استشهد مع الحسين ب **كربلاء** أو ممن سبقوه ليمهدوا لدعوته بالكوفة وذكروا منهم، حسب قرابتهم من **الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين**⁷:

من **إخوته غير الأشقاء**: (1) **جعفر**، (2) و**عثمان**: ابني أم البنين بنت حزام بن خالد، (3) و**العباس الأصغر**، (4) و**محمد الأصغر**، المكنى بأبي بكر: ابني لبابة بنت عبيد الله بن العباس⁸، (5) و**عبيد الله**⁹: ابن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك الثقفية الدارمية¹⁰.

ومن **أبنائه**: (6) **علي**¹¹ (7) و**عبد الله**¹².

ومن **أبناء أخيه الحسن**: (8) **القاسم**، (9) و**عبد الله**، (10) و**أبي بكر**¹³.

ومن **أبناء وحفدة عمه عقيل**: (11) **عبد الله**، (12) و**عبد الرحمن**، (13) و**جعفر**

¹⁴ (14) و**مسلم**. والأخير، كان قد أرسله الحسين بن علي إلى الكوفة ليستوثق له من بيعة أهلها،

واستشهد بالكوفة¹⁵، (15) و**محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب**.

ومن **حفدة عمه جعفر بن أبي طالب**: (16) **محمد**¹⁶، (17) و**الحسين**¹⁷ (18)

و**عون الأصغر**: **أبناء عبد الله بن جعفر الطيار**.

فهؤلاء **ثمانية عشر نفرًا**¹⁸ من بني هاشم ممن استشهدوا مع **الحسين**، من: بنيه،

وإخوته، وبني أخيه الحسن السبط، وبني عميه جعفر وعقيل، رضوان الله عليهم أجمعين.

⁷ أنظر تاريخ خليفة بن خياط في أحداث سنة 61 هـ ص. 234 .
⁸ وخالف الشيخ المفيد الجعفري في كتاب "الإرشاد في معرفة حجج الله تعالى على العباد" (2: 126)، فذكر العباس، وجعفر، وثمان، وذكر رابعا لهما وهو عبد الله، بدل محمد الأصغر!، ونسبهم جميعاً إلى أم البنين!
⁹ ونسبه خليفة بن خياط إلى الرباب بنت امرئ القيس من كلب.
¹⁰ ونسبه الشيخ المفيد الجعفري في كتاب "الإرشاد في معرفة حجج الله تعالى على العباد" (2: 126) هو وأبا بكر السابق إلى ليلى بنت مسعود الثقفية. وقال ابن حزم في "الجمهرة" بأن: عبيد الله هذا لم يكن مع الحسين، وإنما قتل في جيش مصعب بن الزبير بن العوام يوم لقوا المختار بن أبي عبيد الثقفي في ثورة ابن الأشعث. أنظر ابن حزم: "جمهرة أنساب العرب" ص. 38، ط. أولى 1403 هـ/1983 م، دار الكتب العلمية، بيروت.
¹¹ لم يذكر لا خليفة ولا ابن حزم أسماء أولاده، وعلي هذا، فهو غير علي زين العابدين الناجي الوحيد الذكر من كربلاء.
¹² قال ابن حزم في الجمهرة، ص. 52: {قتل بعضهم معه} ولم يذكر أسماءهم لا هو ولا خليفة.
¹³ أنظر: تاريخ خليفة بن خياط ص. 134، والشيخ المفيد في الإرشاد (2: 126).
¹⁴ أورد الشيخ المفيد في "الإرشاد" (2: 126) ولم يذكر خليفة بن خياط.
¹⁵ تاريخ خليفة بن خياط، ص. 231.
¹⁶ يقول ابن حزم في الجمهرة ص. 68 بأن هذا قتل في الطف. وكذلك لم يذكره الشيخ المفيد في "الإرشاد".
¹⁷ أورد بدله الشيخ المفيد في "الإرشاد" (2: 126) عبد الله.



قلت:

لا حظ أولاً، أن لا وجود لأحد من ذرية عبد الله بن عباس، ضمن هذه الكوكبة من الشهداء، ولا **ابن الحنفية**، لأن كلاهما، كان قد نصح **الحسين** بالتريث، وبعد الخروج، تلبية لدعوة أهل الكوفة، لما خبرا من غدرهم وخذلاتهم ما خبر **الحسين** نفسه و**والده** وأخوه **الحسن** من قبل. وهو الأمر الذي ما كان ليثنيه ﷺ ولا ليفت من عزمه، في الاستجابة لمن دعوه، تلبية لنداء الواجب، وعدم تحميلهم تبعات أسلافهم، من باب: ﴿ **ولا تزرر وزرر أخرى** ﴾، وكوسيلة لتغيير الواقع المنكر بحسب القدرة والاستطاعة والوسيلة، وإنما الغيب عند الله على كل حال، وهو يتولى السرائر.

ولاحظ ثانياً، أنه لم تقدر النجاة لأحد من ذرية الحسين الذكور، سوى لابنه عليّ زين العابدين ﷺ، وهو ابن إحدى بنات آخر ملوك الفرس: كسرى، لمرضه وصغر سنه، ليحفظ الله نسله الذكري فيه.

وهو ما يعني أيضاً بأن **السلالية الفارسية**، ومن خلال هذه **المنافسة المشيحية المجينية** في البيضة التكوينية التي خرج منها **علي بن الحسين**، قد صاروا **أخوالاً** لآل الحسين، لتنتظم بهما معاً **عصبة جديدة** تجمع ما بين **عصبة فارس السلالية** و**عصبة آل الحسين الدموية**، دون سواهم من آل البيت، أو قریش، أو المسلمين عامة!.

وكانت صدمة المسلمين بالفاجعة، وعدم تصديقهم بإمكان صدور مثلها من مسلم، بقدر جهلهم ببداوة وغلظة طباع من اقترفوها.

¹⁸ وهم ستة عشر نفرأ فقط إن أسقطنا ما نسب للحسين من أبناء.

وهي طباع أغلب جند **بني أمية** يومها، وسنة سوء سيعمل بها كل الطغاة المستبدين في كل زمان ومكان، على ما يشهد به عصرنا نفسه من تعديات وتجاوزات تدخل ضمن الإجرام المؤسساتي للدول باللجوء إلى هذا الأسلوب الجهنمي في التعامل مع مصير الأمة، دون بعد نظر أو أفق مستقبلي¹⁹.

ولن يكون بمقدور أي حادث سياسي آخر لاحق، أن يضاهي في بشاعته، مثل هذه الفعلة الشنعاء، ولا أن يمحو ذكراها من الذاكرة أو الوجدان.

وهكذا، فلا حركة **التوابين** سنة 65 هـ، التي تزعمها **المختار بن أبي عبيد الثقفي** (ت: 67 هـ) و**كيسان مولى علي بن أبي طالب**، التي جاءت على إثر الفاجعة مباشرة، كردة من ردود فعل تأنيب الضمير وأقسم أعضاؤها ألا يهدأ لهم بال، وألا يقر لهم قرار، إلى أن يثأروا لدم **الحسين** ومن معه، ليغير من واقع الفاجعة من قضمير بالرغم من استئصالهم لكل من شارك في الفاجعة!

بل لم تمض سنتان على فاجعة **كربلاء**، حتى قامت ثورة "الحرّة" العارمة بالمدينة على الأمويين سنة 63 هـ، شاركت فيها كل قبائل الأنصار وبتونهم بقيادة **عبد الله بن حنظلة**، وكل قبائل المهاجرين وبتونهم بقيادة **عبد الله بن مطيع**، يدعون إلى **الرضا والشورى**²⁰، إلا أن جيش **يزيد** بأجلافه الشوام الغليظي الطباع، سيتمكن مرة أخرى من إلحاق هزيمة نكراء بجموعهم، لقلّة انضباطهم وتخطيطهم، لتستحل المدينة لثلاثة أيام للشوام ينتهكون فيها أعراض المهاجرين والأنصار، بعد أن قتلوا **ثلاثمائة وستة أنفار** من خيرة رجالهم.

وعلى إثر هذا الكارثة الثانية، سيباع **علي بن الحسين** ل**يزيد بن معاوية**، ويرفض التصدي لزعامة الشيعة الداعين إلى أخذ ثأر أبيه، رغم إلحاحهم عليه، ليكرس نفسه وهمه للعلم، منقبضاً عن

¹⁹ أنظر كتابنا: "الإجرام المؤسساتي للدولة" المغرب نموذجاً"
²⁰ نفس المرجع، ص. 237.

الناس، إلا من خاصة أصحابه، وكأنه أدرك ﷺ بداهة، أنه الحامل لبذرة **الحسين** الوحيدة المتبقية الحافظة لنسله، وبأن الوقت ليس بوقت خروج، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وكان طبيعياً، أن يتصدر لقيادة شيعة آل البيت السياسية، بعد مقتل أخيه **الحسين، محمد بن علي بن أبي طالب الملقب بابن الحنفية** (ت: 81 هـ)، وهو بطل كل حروب والده بدون منازع، والمقدم فيها وحامل لوائه في كل المواقع، ما اشتهر والده نفسه في حروبه لصناديد مشركي قريش في صدر الإسلام، ليحاول لم شتات وشعث بقية ما تبقى من إخوته من ذرية والده السبعة والعشرين بين ذكور وإناث.

وهذا واقع تاريخي، مسنود بالمعطيات المجردة، و لا ينفيه أحد.

وسيحصل أول احتكاك بين حزب الهاشميين من: طالبيين وعباسيين، عندما كان أمرهم لا زال واحداً، وإلى هذه الفترة الزمنية المبكرة، وبين **عبد الله بن الزبير** (ت: 73 هـ) ²¹، مع أن المفروض، من حيث المبدأ، هو أن تكون قضيتهم جميعاً واحدة!، عندما حاول الأخير أخذ البيعة منهم لنفسه كرهاً، ما حاول معاوية بن أبي سفيان مع كليهما وتأبيا عليه!، مع أن الخلفاء قبلهم لم يرغبوا أحداً ممن لم يبايع على المبايعة! كرهاً، كما حصل مع **علي بن أبي طالب**، مع بيعة **أبي بكر الصديق** التي لن تأتي إلا بعد ستة أشهر، أو ما كان من سيرة **علي** نفسه، يوم بويع بالخلافة، وتخلف بعض الصحابة عن مبايعته.

فلما تاب **الهاشميون على ابن الزبير** ولم يستجيبوا له، ألجأهم إلى شعاب عارم بمكة وتوعدهم وعيداً شديداً، لم يخرجهم من ضيق حرجه سوى جيش **أبي عبد الله الجدلي** سنة 65 هـ، مبعوثاً من طرف **المختار الثقفي**.

²¹ وكان عبد الله بن الزبير، كالحسين بن علي الشهيد، قد امتنع عن البيعة ليزيد، وتحصن بالبيت الحرام بدءاً من سنة 63 هـ. ولن يستطيع الأمويون التخلص منه أو القضاء عليه إلا سنة 73 هـ على يد واليهيم على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي (ت: 95 هـ) أيام عبد الملك بن مروان الأموي (ت: 86 هـ). وفي هذه الأثناء، نشبت ثورات متتالية يقودها الخوارج، شغلت الأمويين لسنين، وأنهكت قواهم، إلا أنها لم تتمكن من إزاحتهم أو زحزحتهم عن الحكم.

وكان **المختار** قد تبنى دعوة **محمد بن الحنفية**، بعد أن رفض **علي بن الحسين** الاستجابة له. وهكذا تم رفع الحصار عليهم، وانتقلوا بأمان في حفظ هذا الجيش إلى **الطائف**.

نمط الأساطير المؤسسة للشيعة الإحدى عشرية

التفت **الكيسانية**، نسبة إلى **كيسان مولى علي بن أبي طالب**، حول **محمد بن الحنفية**، ولهجت بإمامته، وغلت فيه ما غلت **السبائية** في والده رضي الله عنهما. فأطلقت عليه اسم **"المهدي"**، وهو من الألقاب التي كان يختص بها الرسول ﷺ وجاءت في شعر شاعر النبي ﷺ الأنصاري: **حسان بن ثابت**²².. وهو ما سيخلده في **ابن الحنفية** كنعته ولقب، شاعرها المفوه، **كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي** (ت: 105 هـ)، الشهير بلقب: **كثير عزة**، في مطلع مصرع بيته الشهير:

هديت يا مهدينا ابن المهدي أنت الذي نرضى به ونرتجي

ولما حضرت الوفاة **محمد بن الحنفية** سنة 81 هـ، عهد إلى ابنه **عبد الله**، الملقب ب**أبي هاشم**، بأمر الدعوة لآل البيت، التي كان ينضوي تحتها كل الهاشميين وبدون استثناء، بما فيهم أبناء **العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف**، عم النبي ﷺ. وهذا واقع تاريخي مسطور في كتب كل المؤرخين للمرحلة من أصحاب التواريخ والسير، على اختلاف مشاربيهم العقديّة.

وخلا **أبو هاشم**، عبد الله بن محمد بن الحنفية من العقب، فأوصى لما حضرته الوفاة إلى **علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب** (ت: 125 هـ) بأمر الدعوة لآل البيت²³.

²² أنظر كتابنا: "المهدي اللامنتظر..." ص. 43.
²³ أنظر كتابنا: "المهدي اللامنتظر..." ط. أولى 1999 م.

وسوف يدعي لاحقاً، **ضمن دينامية الانقسامية التفتيتية التي تحكم أي مجتمع**

عشائري، كل من الطالبين والعباسيين، أن هذا العهد انتهى إلى أحدهما، أو أحد فروعهما دون الآخر!، وبالتالي، بأحقية كل فرع من هذه الفروع، وكل شظية من هذه الشظايا، لحكم المسلمين دون غيرها!:

— **الطالبيون**، لقرابتهم من الرسول ﷺ من جهة ابنته **فاطمة** وابن عمه **علي بن أبي**

طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف،

— **والعباسيون** لجهة قرابة **العباس بن عبد المطلب** من النبي ﷺ، لكونه عمه،

قياساً على التقديم والتأخير في الإرث الشرعي!!.

ويرد على كليهما بداهة، وبمحكمات النصوص، **أن النبوة لا تورث على أي حال!**.

لكن، هيهات، والقبليّة متحكمة، أن تنهيم مثل هذه الاعتبارات عن الطلب بل والموت في سبيل ذلك!.

وغلت **الكيسانية**، فادعت بأن **محمد بن الحنفية** لم يمّت، وبأنه غائب فقط، وأنه متستر

عن الأنظار، **بجبل رضوى** قرب **مكة**، وأنه سيرجع لا محالة مرفوع اللواء، ليملاً الأرض قسماً

وعدلاً ما ملأها الأمويون جوراً وظلماً، كما سيلهج بذلك شاعرهم المفوه: كُتِّير عَزَّة²⁴.

وهكذا سيغتني قاموس مفردات التشيع **المغالي في التطرف**، زيادة على ما ابتدعته وقالت به

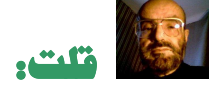
السبأية الغالية في حق **علي بن أبي طالب** من: "تأليه"، و"وصية"، و"براء"، بما أضافته

²⁴ يقول كثير عزة:

ولات الحق أربعة سواء
يكون الشك منا والمساء
جميع الخلق لو سمع الدعاء
وسبط غيبته كربلاء
يقود الخيل يقدمه اللسواء

ألا إن الأنمة من قريش
فأتى في وصيته إليهم
بهم وصاهم ودعا إليهم
فسبط سبط إيمان وبر
وسبط لا يدوق الموت حتى

الكيسانية من مفاهيم في: "**المهدوية السياسية**"، و"**الغيبة**"، و"**الرجعة**"، و"**التقية**" في ابنه **محمد بن الحنفية**.



قلت:

وسوف يبارك الله ﷻ في ذرية **علي بن الحسين زين العابدين** ﷺ، ما بارك في ذرية بني عمومته الأقربين والأبعدين عامة وجعلهم أكثر نفيراً.

وهكذا سيولد له **سنة من الأولاد**، أمشاج من الدماء القرشية والفارسية، سيعقبون كلهم

وهم:

محمد الباقر، وشقيقه **عبد الله**، وأمهما، أم **عبد الله**، بنت **الحسن بن علي بن أبي**

طالب. ومن هذه الخلفية المجينية الوراثية، فكلاهما مشيخ وراثي من جهة الذكورية، من **علي بن**

أبي طالب، جدهما الأعلى، ويرثان منه ربع (1/4) مجينهما الوراثي، بقدر، ما ورث جدهم **علي بن**

الحسين تماماً، وهو ضعف ما سيرث كل واحد من إخوتهم من أمهات الأولاد، أي: الثمن (1/8)

فقط!²⁵.

زيد، و**عمر**، و**علي**، و**الحسين**، وأمهاتهم أمهات أولاد.

ومن بين هؤلاء الأولاد، سيشتهر كل من **زيد** و**محمد** بالعلم حتى أن **زيداً** سينسب إليه

أقدم تأليف فقهي، وهو "**مجموع الفقه**"، وسيلقب **محمد** ب "**الباقر**"، لتبحره في العلم²⁶.

²⁵ هذا باعتبار تغليب إرثهم المجيني العلوي، نسبة إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، على إرثهم النبوي، من خلال فاطمة الزهراء عليها السلام!. وباعتبار هذه القرابة المجينية، التي لا يمكن أن يبنني فوقها أساس للحكم في الإسلام، كما ادعى كل فريق، يكون المجين الوراثي للعباس عم الرسول ﷺ، ضعف ما ورث الرسول ﷺ من والده، الذي هو بدوره ضعف، ما سترته فاطمة الزهراء عليها السلام من والدها. وعلى ما في هذا الاعتبار من مفارقة ونقيضة!، كدعوى لاستحقاق الحكم أو الخلافة، يبقى أن حظ الذكر وحظ الأنثى من الناحية البيولوجية متساويان تماماً، على عكس قوانين مواريث الأحوال الشخصية، التي جعلها الله بنصوص محكمة، تنبني على اعتبارات مخالفة. لذلك يظهر هنا بوضوح عوار الفكر الذي سينتشر لاحقاً مدعياً أحقية الحكم، قياساً على القرب المعمول به في المواريث الشرعية، زيادة على حجب الأنثى مطلقاً من هذا الأمر الخطير!

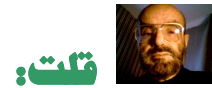
²⁶ وستلحق الأخبارية الجعفرية خيراً ملفقاً، يقول بأن اسمه موجود في التوراة، وهي التي أطلقت عليه اسم "الباقر"، وهو كذب محض، لا وجود له.

وسيفل **الباقر** خاملاً سياسياً طوال حياته، محاكياً لنهج والده رحمهما الله، يبيث علم ما أخذ عنه وعن أهل بيته والصحابة، لتتكون مدرسة تتبنى أطروحاته في الحكم والسياسة، التي سيورثها لابنه الوحيد، الذي سيستمر فيه نسله، وهو **جعفر الصادق**، لتتسلسل هذه النظرية السياسية في ذرية الأخير خاصة، وتضيق على **بني العمومة**، ثم على **الإخوة!**، ثم على **الأبناء!**، بشظايا فرعية مع وفاة كل إمام، ومع كل منعرج ومنعطف على الطريق!²⁷.

والأكثر غرابة، من الناحية الوراثية المجينية، هو أن هذا الموروث قلما تطابق، كمرآة عاكسة خارجية، مع التوجهات السياسية لأصحابها في الخارج. وهكذا وجدنا **زيداً**، بثمان (1/8) نصيبه من الموروث **المجيني العلوي** وربع (1/4) **مجينه الفارسي**، **يحصر الخلافة في كلا الفرعين:**

الحسني والحسيني معاً، بينما وجدنا الباقر، بربع (1/4) نصيبه من كلا الموروثين: **العلوي** و**الفارسي**، أي بضعف موروث أخيه **زيد** من الموروث **العلوي**، يقلصها لتتخصر فقط، في **ذرية الحسين**، مع أن مجينه الوراثي صريح ومتساوٍ في **الحسينين!**.

وتميز **زيد** أيضاً، ومن منظور متوافق مع مجينه الوراثي هذه المرة، باتباع نهج جده **الحسين الشهيد**، في الخروج على الحاكم الظالم الجائر، وخروجه نفسه على الأمويين بدعوة تلقاها من أهل الكوفة، إلا ليغدروا به ما غدروا بأسلافه من قبل، حتى جرى بفعالهم المثل: عملوها **حسينية!**، ليستشهد ﷺ سنة 122 هـ..



قلت:

وبحصر زيد مستحقي الخلافة في كل **فاطمي من ذرية الحسن والحسين!**، دون باقي **أبناء عليّ كرم الله وجهه**، من غير فاطمة الزهراء ﷺ، تم عملياً، إخراج **كل أبناء علي من**

²⁷ أنظر كتابنا: "المهدي اللامنتظر.." ص. 114 وما بعدها.

أمهات الأولاد!، وإخراج كل الطالبين من إخوة عليّ!، وكل العباسيين من آل هاشم جملة!.

وهذا الحصر في ذرية علي كشرط أولي، ثم بالاختصار فيهم، علي من كان من نسل فاطمة

الزهراء عليها السلام لوحدها، كشرط إضافي للاستحقاق، **يعيد الاعتبار لرائزية الدم النبوي كتاب**

فيصل في الأحقية، وإن لم يكن هو الأصل (لأن الأصل عندهما معاً هو عليّ، وليس فاطمة!)،

علي خلاف ما سيذهب إليه الباقر، كما سلف من مذهبه، في حصرها فقط في آل الحسين، بدون

مبرر مقبول أو معقول من جهة رائزية الدماء لوحدها، مادام الفرعان: الحسني والحسيني ينتميان

معاً إلى أب واحد، وهو **علي بن أبي طالب!**، وأم واحدة وهي **فاطمة الزهراء!**

والتفسير البيولوجي لهذه الظاهرة، إن أمكن أن نربطها بعوامل الوراثة المجينية، هو: أن

الموروث السلالي الفارسي ظهر جلياً، وصريحاً، ومتغلباً عند الباقر، بينما تنحى كلياً عند أخيه

زيد، حسب قوانين الوراثة المعروفة.



قلت:

أدخل في باب الصدفة فحسب! أن تنجح دعوة الباقر الثنائي الأمشاج (طالبي/فارسي) في

إيران وتفشل في غيرها من البلاد، وأن تنجح دعوة زيد المثلث الأمشاج بما ورث من أمه،

في كل قطر إسلامي وتفشل في إيران!.

فالظاهر، وكأن الدماء والأعراق جساسة هنا وفوق أي اعتبار آخر!.

وهذه، أول نقائص هذه الدعاوى من حيث المرجعية النصية والمعقولة والمنطق. بل

سيذهب زيد بن علي إلى نفى استحقاق أي مدع للخلافة، ما لم يخرج طالباً لها بنفسه، بعد

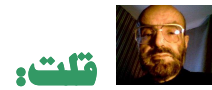
توفر شروط الإمامة الضرورية فيه!.

وبالتالي، فقد نزع عملياً، استحقاق الإمامة عن أخيه **الباقر** ووالدهما **علي زين العابدين**، لخمولهما وعدم الخروج في طلبها!.

وسوف يتبع **زيداً**، في الخروج على بني أمية، وعلى نهجه السياسي هذا، ابنه **يحيى** في ثورة أخرى فاشلة سيقودها من **خراسان** بعد ثلاث سنوات فقط من استشهاد والده، أيام حكم **الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي** (88 هـ - 126 هـ)، ليستشهد بدوره سنة 125 هـ، ولما تجاوز بعد سن الثامنة عشرة.

وهي ذات السنة التي سيلاقي حتفه فيها **محمد بن علي بن عبد الله بن عباس**، وصي العباسيين!، ليمرر الوصاية لابنه **عبد الله بن محمد** الشهير بلقب **السفاح** (ت: 136 هـ)، الذي سيتوج خليفة أول للعباسيين، إثر نجاحهم في إسقاط دولة الأمويين سنة 132 هـ.

ثم جاءت بعد ثورة **يحيى بن زيد** بثلاث سنوات، ثورة أخرى على ذات النهج، قام بها **عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار**، من ذرية أخ **علي بن أبي طالب**: **جعفر الطيار**، المتزوج من **عليه بنت علي زين العابدين**، التي قاده من أصبهان سنة 128 هـ وامتدت إلى العراقيين: العربي والعجمي، ودعا إليها كل الطالبين، إلا لتفشل بدورها.



قلت:

وهذا الخروج لهذا الفرع الخامل، غير المنتسب ل**علي**، وإنما لأخيه **جعفر الطيار**، وحصول مثل هذه السابقة تاريخياً، وحصوله على **تأييد باقي الطالبين**، يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أمران مهمان:

أولاً:

أن تنظير الزيدية بحصر الإمامة في ذرية الحسن والحسين وحدهما، أو حصر الإحدى عشرية لها في ذرية الحسين وحده، تحكمت نظرية لاحقة، تفتقر في حدها الأدنى إلى الإجماع، حتى بين الأطراف الشيعية المعنية، بل، وضمن هذا الفرع الحصري الطالب من ذرية أبي طالب!. وهو أساس وجيه في بطلان الدعوى، زيادة على المصادمة النصية للعالمية والختمية في الرسالة الإسلامية، مادام بعض المبرزين من أعضائها لم يؤمنوا بها.

وثانياً:

أن خروج عبد الله بن معاوية بإصيهان بالذات وحصوله على التأييد المحلي، لا يبرره سوى **تعاطف الإيرانيين مع الدم الساساني الساري في عروق زوجته: عليّة بنت زين العابدين وكسرى في نفس الوقت، رغم مقت شعبة إيران لاسم والده "معاوية" تطيراً باسم خصم الشيعة السياسية التاريخي!**

وسوف تأتي الضربة القاضية، لمثل هذا التنظير الحصري الضيق، من حيث لم يحتسب المنظرون، إثر نجاح الثورة **العباسية على الأمويين**، التي قادوها بشعار **"الرضا لآل محمد! سنة 132 هـ**، لترتكب كل هذه الحسابات، وتخلط كل هذه الأوراق، حين استأثروا بأحقية الخلافة لأنفسهم، دون باقي أبناء عمومته الطالبيين جملة!.

بل تجرعوا من أجل الاستفراد بمنافع الحكم دون بني عمومتهم، على استباحة دمائهم وأعراضهم، وتشتيت شملهم ما وجدوا لذلك سبيلاً، بل وسيحجبون عنهم منافع الخلافة، ما حجبها واستأثر بها الأمويون قبلهم، دونهم جميعاً، من بين كل القرشيين، بدعوى أحقية قریش في حكم المسلمين دون سواهم²⁸

وهكذا، ستخيب كل الآمال السياسية للطالبين لفترة غير وجيزة، وتطعن في صلب تنظيرهم، ومن طرف أقرب الناس وليجة إليهم من حيث القرابة والدم، وليذوقوا مجدداً، وعلى أيدي بني عمومتهم الأقربين هذه المرة، من حر الحديد، والسجن، والتكيل، والتشريد، والهوان، والقمع

²⁸ أنظر كتابنا: "أحاديث في السياسة لا تصح: الأئمة من قریش".

والقتل، فوق كل وصف، ما ذاق أجدادهما معاً من قبل على يد بني عمومتهم الأبعدين، حتى حن الكثير من العلويين إلى عهد الأمويين، مقارنة بعهد بني عمومتهم الأقربين، كأهون الشرين!.

وهذا التطاحن السياسي التاريخي، حول الاستثناء بحكم المسلمين بين:

أولاً: القرشيين فيما بينهم، تضييقاً على باقي المسلمين وبالبحر عليهم.

ثانياً: بين آل بني هاشم فيما بينهم،

ثالثاً: بين آل أبي طالب فيما بينهم،

رابعاً: بين آل الحسين فيما بينهم، وطعنهم على بعضهم البعض وقتالهم لبعضهم البعض،

لدليل قاطع على تهافت هذه الدعاوى وسقوطها كلها من الاعتبار، سواء من وازع من دين أو اعتبار من صلاح دنيا!، على ما سيثبت التاريخ.

لذلك، لم يكن غريباً، ألا تسلم الخوارج بمثل هذه الدعاوى الملفقة!، ولا كان غريباً ألا ترى

فيها سوى حيلاً للهيمنة القرشية والاستئثار بالسلطة، من دون سائر المسلمين!.

وهكذا، سنجدهم، وعلى امتداد أكثر من ثلاثة قرون، مطارح في كل الخنادق، متترسين

ومحاربين على كل الجبهات، في مناوئة هذه العصبية القرشية المستفردة بالحكم، انطلاقاً من أولوية

عصبية قبليتهم الجاهلية الأولى كغيرهم، التي لم تنقرض بعد، والتي سيتغنى بأمجادها شاعرهم

المفوه، **هَمَّام بن غالب الفرزدق** (ت: 110 هـ)، بقوله: بأن كل فتوحات الإسلام، لم تقم سوى

بهم، وعلى أكتافهم، وبجهادهم، وبمرايبتهم على كل الثغور!.. ثم من ظاهرة، أن جل زعمائهم

وقادتهم الأول كانوا من **قبائل تميم** العراقية!

وهو ما سيرد عليه مفبركو الأخبار وملفقيها المناوئين لهم، باختلاق خبر مكذوب: **الخوارج**

كلاب النار"²⁹.

وسيفشل النهج الزيدي، نسبة إلى نظرية **زيد بن علي** في الحكم، مرة أخرى في الثورة العارمة التي قادها بالمدينة **محمد** (النفس الزكية) الذي سيطلق عليه اسم **"المهدي"** صراحة!، وقادها بالكوفة أخوه **إبراهيم** وهما ابنا **عبد الله (الكامل) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب**، إلا لتفشل الثورتان على يد **أبي جعفر المنصور العباسي** واستشهادهما تبعاً سنة 145 هـ³⁰، رغم مشاركة كل بطون الهاشميين فيها، ومساندة الإمامين **مالك بن أنس** و**أبي حنيفة النعمان** لهما مع ثلثة من الفقهاء والمحدثين والقراء ووجهاء القبائل.

وسوف تنصرف عامة الشيعة ومن بينها شيعة **موسى الكاظم** (ت: 183 هـ) الإمام السابع للجعفرية، إلى **عيسى بن زيد بن علي** (123 هـ - 168 هـ) ومبايعته سرّاً بالعراق سنة 156 هـ، بعد أن بايعه أهل الحجاز وواسط والأهواز إلى أن توفي مسموماً سنة 168 هـ.

وكذلك ستفشل ثورة **الحسين بن علي**³¹ **بن الحسن** بـ **"فخ"**³² على أميال من **مكة**.

ولن يتمكن هذا الفرع العلوي، الذي ظل نشطاً طوال فترة القرن الثاني الهجري، من تكوين أول دولة له، سوى مع مطلع الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري وما بعده وذلك:

²⁹ أنظر كتابنا: "أحاديث في السياسة لا تصح: الخوارج كلاب النار"
³⁰ هذه أول ثورة عامة وعارمة، شارك فيها الطالبيون بكل بطونهم، ومن بينهم ابني جعفر الصادق نفسه: عبد الله الأفتح (ت: 148 هـ) وموسى الكاظم (ت: 183 هـ).
³¹ علي هذا كان ممن توفي في سجن المنصور مع أعمامه عبد الله الكامل والحسن ابني الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.
³² .ويطلق على المكان اليوم اسم "الزاهر".

أولاً: حين تمكن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، الناجي من وقعة فخ، من إقامة أول **دولة زيدية** بالمغرب الأقصى سنة 172 هـ،

وثانياً: حين تمكن يحيى بن الحسين بن القاسم، بن إبراهيم، بن إسماعيل، بن إبراهيم بن طباطبا بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، الملقب **بالهادي إلى الحق** (220 هـ - 298 هـ) من تأسيس **الدولة الهاديوية الزيدية** باليمن، بعد مرور أكثر من قرن، بعد **دولة الأدارسة**، أي: سنة 284 هـ،

وثالثاً: حين تمكن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب، الملقب **بالناصر الأطروش** (230 هـ - 304 هـ) من تأسيس **دولة زيدية بالديلم**.³³

وعلى عكس هذا التنظير السياسي الجهادي الحركي **لزيد بن علي**، القائل بوجوب الخروج على أئمة الجور، متأسيماً بمنهج جده **الحسين الشهيد**، الذي تكللت جهود أتباعه بالنجاح في آخر المطاف³⁴، سيظل نهج أخيه **محمد الباقر**، المتبني للخمول، والتريث في الأمور، وعدم استباق الأحداث، متأسيماً بمنهج والده المباشر **علي بن الحسين**، وانتقال هذا النهج منه إلى ابنه **جعفر الصادق**، ثم منه إلى ذريته من بعده، يحصد الفشل تلو الفشل، بسبب من هذه الانتظارية القتالية التي ضاعف من جمودها وقصورها الذاتي عاملان إضافيان:

³³ أنظر كتابنا: "المهدي اللامنظر..." ص. 96.
³⁴ حيث استطاعوا أن يكونوا لأنفسهم دولاً حكمت بمنظورهم ورؤياهم ومقاربتهم لحكم إسلامي كما تصوره في مثالياتهم، بعد أربعين سنة فقط من تكوين غرمانهم العباسيين لدولتهم سنة 132 هـ.

العامل الأول خارجي: وكمن في الحجر السياسي الذي فرضه الحكم العباسي على أئمة

هذا الحزب وأشياعه كحزب مناوئ ومعارض، وامتد إلى وفاة آخر أئمتهم التاريخيين، الإمام الحادي عشر الحسن العسكري .

والعامل الثاني داخلي بنيوي: ويرجع بالأساس إلى عنق زجاجة ما ابتكروه

واخترعوه أنفسهم، ضمن "تناذرهم السياسي" من **مهدوية**، في ابن مزعوم **للحسن العسكري!**

وهذا العامل، سيزج بهم مرة أخرى في انتظرية لا نهائية، وغير منتجة سياسياً، ستمتد بهم لأكثر من ألف عام، إلى أن أخرجتهم منها ثورة **الخميني** في نهاية ثمانينيات القرن العشرين، بادعاء النيابة العامة عن **المهدي** الخرافي الأسطوري هذا بما يسمى بـ "نظرية ولاية **الفقيه!**" وهي النظرية التي لم تبدأ تتبلور في خطوطها العريضة العامة، سوى مع الشيخ **الأصولي: أحمد بن محمد بن مهدي بن أبي ذر التراقي** (ت: 1245 هـ/1829 م)، ومعاصره **الشيخ مرتضى بن محمد أمين الدزفولي الأنصاري النجفي** (1214 هـ/1800 م - 1281 هـ/1864 م) مع بداية القرن الثالث عشر الهجري/القرن التاسع عشر الميلادي.

وهذه النظرية لا تبرح عنق زجاجة التخريف المحض بالرغم من النجاح السياسي الطارئ في آخر المطاف!.

وكان إقامة حكم الإسلام وحاكميته، ومنذ انقراط عقد الخلافة الراشدة، لا يمكن أن يتأسس سوى على شرعيتين مقبوتتين: إما استبداد متغول أو خرافات تليق بعقول العصافير!.

انتهى وتليه الحلقة السادسة

أثر الغلاة في التأسيس الفكري الإحدى عشري